الواقع التاريخي والسياسي للموالي خلال العصر الأموي (41 – 132ه / 662 – 750م)

أ. أسماء أحمد الأحمر
كلية الآداب غريان. جامعة غريان

المستخلص:

الموالي يعتبرون أحد عناصر المجتمع الإسلامي في عهد الدولة الأموية، وهم المسلمون من غير العرب الذين دخلوا تحت لواء الدولة، وهم في الأصل أقوام من أعراق مختلفة أغلبهم من الفرس والروم والبربر وأقوام بلاد ما وراء النهر وغيرهم ممّن انضوى تحت لواء الدولة الأموية آنذاك. وقد لعبوا دوراً هاماً في الدولة الإسلامية على كافة الأصعدة ولاسيما في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ودواوين الدولة، وقد اختلفت أحوال الموالي في عهد الخلفاء الأمويين تبعاً لأهواء الخلفاء والولاة، فلم تكن هناك سياسة ثابتة متبعة نحوهم. وساد الدولة الأموية في أواخر أيامها الفوضى والاضطراب، وتأرجحت سياسة الولاة الأمويين نحو الموالي بين الإنصاف والإجحاف، وعلى الرغم من ذلك فقد كان للموالي دورهم في الحياة الثقافية والاجتماعية، خاصة في المدن التي كانوا يعملون بها في مجال التجارة، والزراعة، والحرف اليدوية، والتعليم، وعلى الرغم من التحديات التي واجهوها، نجح بعضهم في بناء شبكات اجتماعية قوية ومؤثرة وبعضهم شارك في الحركات الدينية والثقافية التي تأثرت بها الدولة الأموية في ذلك الوقت.

الكلمات المفتاحية: الحلف، الدولة الأموية، الشعوبية، المساواة، الموالي.

مقدمـــــــة

لعب الموالي دوراً هاماً في الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، سواء كان ذلك على المستوى العسكري أو العلمي أو السياسي. فقد كان منهم قادة الجيوش، والشعراء والكتاب والمترجمين. بل لقد أسندت إلى بعضهم إمارة بعض الولايات الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت أوضاعهم معقدة ومتنوعة، متأثرة بالعديد من العوامل بما في ذلك الثقافية والسياسية والدينية والاقتصادية.

إنّ سياسة الأمويين مع الموالي كانت بين الإنصاف والاجحاف حسب المواقف، وحسب الزمان والمكان. لذا، لم يكن هناك نمط ثابت يصف حياة الموالي بشكل عام، فالقارئ للتاريخ الإسلامي يلاحظ أنّ الموالي كان لهم دور سياسي وعلمي في الدولة الأموية، فقد قاموا بأعمال الفتوحات الإسلامية الواسعة، وخير دليل على ذلك هم القادة المسلمين الذين فتحوا العديد من البلدان والأقاليم ولم يكونوا عرباً، بالإضافة إلى العديد من العلماء الذين كان لهم الأثر الأكبر على الخلافة الإسلامية ولم يكونوا عرباً كذلك.

هذا ولابد قبل أن أختم هذه المقدمة من ذكر طريقة العرض التي اعتمدتها في هذا البحث، فقد تم تقسيمه إلى مقدمة وأربعة محاور، تناول المحور الأول مفهوم الموالي وتسميتهم لغة واصطلاحا، كما تناول أيضاً التعريف بالموالي الذين كانوا يحالفون القبائل العربية، وذكرت منها ولاء الجوار وولاء العتاقة، وغيرها. في حين تناول المحور الثاني سياسة الأمويين تجاه الموالي، كما تم فيه عرضٌ لآراء بعض المؤرخين المسلمين والمستشرقين بخصوص واقع الموالي وما مدى تعصب العرب ضدهم، وتطرق المحور الثّالث إلى أوضاع الموالي في عهد بني أمية، أمّا الرابع فقد ركّز على تطور الهوية السياسية للموالي في العهد الأموي. وتبعت تلك المحاور خاتمة تضمنت نتائج البحث، وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع التي ارتكزت عليها الدّراسة.

إشكالية البحث وأهميته:

تكمن إشكالية البحث وأهميته في معرفة ما مدى تأثر الموالي بالتغيرات السياسية والاجتماعية في الدولة الأموية؟ وكيف تغيرت مواقفهم وأدوارهم في المجتمع بناءً على تحولات الحكام وسياستهم؟ وإظهار المشاركة الإيجابية للموالي في بعض

المناصب الهامة في الدولة الأموية بغية دحض بعض الروايات التي تصف الأمويين بالمطلق أنهم متعصبون للعنصر العربي.

أهداف البحث:

1. التعرف على مدى تأثر الموالي بالسياسات الأموية، وكيف تغيرت حياتهم بناءً على هذه المتغيرات، وفهم كيفية تفاعل هذه الطبقة مع باقي الطبقات الاجتماعية الأخرى في المجتمع الأموي.
2. إبراز مدى مساهمة الموالي ومشاركتهم في الحكم والسياسة ودورهم في صنع القرار، وما إذا كانت هناك أي مساحة لهم في هذا الصدد.
3. كشف النقاب عن الروايات التي تسيء للأمويين بأنهم كانوا أكثر تعصباً للعنصر العربي. فقد ذهب بعض المؤرخين المستشرقين أمثال فلوتن وغيره إلى أنّ الموالي كانوا مضطهدين ولم ينالوا حقوقهم، وهذا مردود بأدلة سيتم تناولها من خلال هذا البحث.

منهجية البحث: استخدم في كتابة هذا البحث المنهج التاريخي، واستقراء النصوص، والمقارنة بين آراء المؤرخين بقدر ما هو متوفر من مصادر ومراجع حول هذا الموضوع.

أولاً: مفهوم الموالي:

الموالي جمع مولى، وهو الخدم وفي لغة العرب الحليف، وقد استخدم هذا المصطلح بكثرة في زمن الخلافة الأموية للإشارة إلى المسلمين من غير العرب كالفرس والأتراك والأفارقة (الطبري، 1985 ج8: ص35)، وقد أُطلق مصطلح "الموالي" في زمن الدولة الأموية على جميع الذين أسلموا من غير العرب. وقد كانت وضعية الموالي من الناحية الشرعية وضعية أناس أحرار، ولكنهم من الناحية الفعلية لم يكونوا يعتبرون في مرتبه واحدة مع العرب. لقد كان هناك تمايز اجتماعي وحواجز سياسية (الجابري، 1983: ص 244).

والموالي في الشريعة الإسلامية نوعان: مولى العتاقة: وهو الرقيق الذي أعتقه صاحبه، ومولى الموالاة: وهو الحليف، ويسمى أحياناً مولى اصطناع أو مولى عقد، ولذلك كأن يقول الرجل للآخر: ليس لي عشيرة ولا ناصر، وإني أنضم إلى عشيرتك، وتنصرني وتدفع على توابي، وإن مت كان ميراثي لك، فيعقد بينهما عقد الولاء. والمراد بالحليف موالي الموالاة لأنّهم كانوا يؤكدون الموالاة بالحلف (ابن خلدون، 1967: ص 96).

فالموالاة بالحلف كانت أكثر شيوعاً عند العرب قبل الإسلام والذي يقوم على التعاون والنصرة بين المتحالفين، فكان الحلف يعقد من قبل أصحاب الرأي وكبار الشيوخ الممثلين للأطراف المتحالفة (جودة، 1989: ص 16)، فكان للتحالف أهداف مختلفة لزيادة القوة والعدد ولتحقيق المكاسب، والموالي الذين كانوا يحالفون القبائل العربية هدفهم تحقيق المنافع المشتركة من دفع للديه أو لغرض التجارة وغيرها من الأمور الأخرى (الدوري، 1984 (أ) ص:54)؛ وهناك ولاء الجوار الذي يتمثل بحماية طرف ما لطرف آخر من خلال الإقامة معه خوفاً من أمر يهدد وجود هذا الطرف أو حياته، وعلى المجير أن يحمي الذي أجاره من كل مكروه؛ ثم يأتي ولاء العتاقة ويعرف بمولى النعمة، وهو من أنعم عليه سيده بالعتق، فينسب المولى إلى نسب معتقه (ابن منظور، 1956: ص 226).

كما تكاثر الموالي في الدولة العربية الإسلامية بموالاة الفتح، وتكاثر الرقيق بالأسر والإهداء، وكان العمال يوزعون هؤلاء الرقيق على خاصتهم وقادتهم، وهؤلاء يفرقونهم فيمن حولهم أو يبيعونهم، فينتقل الرقيق إلى الناس على اختلاف طبقاتهم (الينوري، 1988: ص 301). فمن أنجب من هؤلاء الأرقاء أو عُتق لسبب من الأسباب صار مولى غير الذين كانوا يدخلون في الولاء بالعقد أو غيره. وكان العرب يطلقون اسم "الهجين" على من كان أبوه عربياً وأمه أعجمية، ويطلقون لفظ "المذرع" على من كانت أمه عربيه (ابن عبد ربه، 1963: ص 129). وكان معظم الموالي في الدولة العربية الإسلامية، وخاصه موالي العراق، من أصل فارسي ويتحدثون اللّغة الفارسية. وقد استطاع الموالي الفرس الاحتفاظ ببعض خصائصهم.

إن الولاء في العصر الأموي قد استمرت مفاهيمه كما كانت على عهد الخلفاء الراشدين، فقد ذُكر أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز صنف الموالي إلى موالي عقد أو اتفاق، وموالي عتاقة، وموالي التباعة الذين يقوم ارتباط بعضهم بأمير أو قائد؛ فاحتل الموالي في العصر الأموي مكانة كبيرة سواء في الجوانب السياسية أو العسكرية أو الإدارية، إذ شاركوا في الإدارة والحكم نتيجة لولائهم وإخلاصهم، وخاصه رجال العلم منهم وكانوا من شعوب مختلفة أشهرها: السند والترك والفرس والروم (فروخ، 1968: ص 174).

ثانياً: سياسة الأمويين تجاه الموالي:

دخل الموالي ضمن التنظيم القبلي، وتأثروا بالعصبية القبلية، فكان موالي كل قبيلة ينتسبون إليها ويحاربون في صفوفها. وكانت حالتهم تتأثر بظهور هذه العصبية وقوتها أو اختفائها، وكلما ضعفت تلك العصبية ساءت أحوال الموالي وانحدرت منزلتهم. وقد تعددت الآراء حول تعصب العرب على الموالي. فقد اعتقد الطبري أّن بوادر هذا التعصب بدأت في الظهور منذ مقتل الخليفة عمر بن الخطاب على يد أبي لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة، فأثار هذا الحادث عصبية العرب نحو الأعاجم سواء من أسلم منهم أو من بقي على دينه، بعد أن كان عمر يأمر بمعاملة الموالي برفق، بينما زادت في عهد الخليفة عثمان بن عفان حدة العصبية ضد الموالي (الطبري، 1985 ج5: ص 63). فأبعدوهم عن المناصب السياسية والإدارية أيام الدولة الأموية، وفرضوا عليهم من الضرائب أكثر مما فرضوه على العرب، وكانوا يخافون وثبتهم على مواقع السلطة بسبب دسائسهم المستمرة. فكانت العصبية تبدأ للبيت الأموي ثم للقبيلة ثم تتوسع أخيراً فتكون للأمة العربية (الدوري، 1969 (ب): ص 17). وتجلت عصبيه السلطة في خلفاء بني أمية ضد الموالي في كثير من المظاهر، فقد قال معاوية بن أبي سفيان، أوّل خليفة أموي (40 ــ 60ه): ((إني رأيت هذه الحمراء (يقصد الفئات غير العربية في الدولة) قد كثرت، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة السوق وعمارة الطريق)) (ابن عبد ربه، 1963 ج2: ص 60).

إنّ سياسة الخلافة الأموية شهدت في بعض الأحيان تعصباً ضد الموالي وفي أمور كثيرة من حيث الجيش من جهة ومن حيث الضرائب من جهة أخرى، فالموالي أنفسهم كانوا مسؤولين عن تعصب العرب ضدهم لأنّهم تعاملوا معهم كتعاملهم مع أكاسرة الفرس، ومنها أنّ العرب كانوا يقدمون مهنة الحرب، ولما كان الموالي يمتهنون مهناً أخرى كالزراعة والصناعات اليدوية والحرفية والتجارة. فقد نظروا إليهم بشكل أدنى، ومنها حرص العرب على أنسابهم التي أخذ الموالي يلفقون لأنفسهم بعضها، كذلك غيرة العرب على لغتهم العربية بعد أن تفشى بها اللحن والمفردات الأعجمية (عبد الرحيم، 1995: ص 34). فهذه الأسباب وغيرها قد أحدثت فجوة في العلاقات بين العرب والموالي مع مرور الزمن.

إذ يذكر فلوتن أحد المستشرقين بأنّ الفتح العربي الإسلامي قد اصطنع عنصرية حينما فرق بين الموالي والعرب، وأن تقريب المسلمين لطبقة الموالي ليس بدافع المساواة وإنّما لحاجة الدولة الأموية إلى تكوين جيش يستمر بالفتوحات بعيداً عن مركز الخلافة، أي اعتبارهم أداة حربية. وقد كافأ هؤلاء الولاة والحلفاء تلك الطبقة بجعلهم مواطنين من الدرجة الثانية فيقول: لقد شاع استخدام العرب لكلمة الموالي الكلمة المقترنة بالمعنى الإسترقاقي، إضافة إلى أنّهم كانوا يدعونهم بأسمائهم الشخصية كالعبيد، كما أنهم كانوا يشكلون فرقاً خاصة بتكوينها وقياداتها ومن المرجح أنّهم كانوا يشاركون في الحروب كمشاة فقط (فلوتن، 1980: ص 82).

غير أنّ هذا الرأي غير صحيح لأنّ الأمويين في فترات تاريخية مختلفة قد اعتمدوا على الموالي بشكل كبير فكان منهم رجال العلم والوزراء وقادة الجيش وولاة الأقاليم.

كما ناصروا فتنة عبد الرحمن بن الأشعث وحركه يزيد بن الملهب للقضاء على الخلافة الأموية، وعلى الرغم من ذلك نلاحظ أنّ الموالي سواء كانوا من أصول فارسية أو غير فارسية عملوا في مجال الإدارة والجيش وكانوا عماد الدولة في هذه النواحي. فقد شارك الموالي في الجيش العربي الإسلامي منذ الفتوحات الأولى للدولة الإسلامية، إذ كان لعبد الله بن زياد جيش من الموالي عرف بالمحاربة وقوامه اثنا عشر ألفا (البلاذري، 1974 (أ): ص 542)، وكوّنه بعد فتوحاته الواسعة في بلاد خراسان.

فقد انضم الموالي لصفوف القادة في الفتوحات فكان للزط والسيابجة (أقوام من السند) دور فعال في فتوح خراسان (الأصفهاني، 1973 ج 15: ص 216)، كما وقد برزت بعض الشخصيات من الموالي في مجال الحرب وقيادة جيوش الفتح بسبب دهائها السياسي وحنكتها القتالية في المشرق والمغرب الإسلامي على حد سواء. أمثال أبي المهاجر دينار، وموسى بن نصير، وطارق بن زياد، ويزيد بن أبي مسلم، وعبيد الله بن الحبحاب (ابن عذاري،1951 ج 1: ص 22) وغيرهم. إذ كانوا قادة الجيوش التي اعتمد عليها ولاة المغرب في الفتوحات الإسلامية سواء في بلاد المغرب أو الأندلس.

لقد ساهم الموالي في امتداد حركة الفتوحات الإسلامية في بلاد الأندلس بشكل كبير، وكان عددهم في الجيوش الإسلامية يفوق عدد المقاتلة العرب، إذ يذكر ابن

قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة): أن حسان بن النعمان والي إفريقية عقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما جيشاً لكل واحد منهما ستة آلاف فارس وأخرجهما مع العرب (ابن قتيبة، د.ت، ج 2: ص 49). كما عيّن موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد والياً على طنجة، وبعدها أسند إليه مهمه فتح الأندلس وكان جيشه خليطاً بين العرب والموالي (ابن عذارى، 1951: ص 38).

ثالثاً: أوضاع الموالي في عهد بني أمية:

كان خلفاء بني أميه يخشون من اطماع الموالي في السلطة والاستيلاء عليها، والقضاء على حكم العرب بصفة عامة. ولم تكن رؤية معاوية لهذا الأمر مسألة اعتباطية بقدر ما كانت نتيجة للمؤامرات التي اكتشفها والدسائس الذي قام بها الموالي ضد العرب. وخير دليل على ذلك اشتراكهم في الثورات التي قامت ضد السلطة الأموية، مثل ثورة المختار الثقفي على في وجه الأمويين. وهذا ما دفع خلفاء بني أمية إلى جعل الموالي يمتهنون الأعمال الحرفية، وأبعدوهم عن شؤون السياسة والحرب التي اعتبروها مهنة العرب. وهو أمر دفع الموالي إلى السيطرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ودواوين الحكومة، حيث سيطر كبار ملاك الأرض من الفرس على شؤون الخراج وصاروا عيون السلطة الأموية على الفلاحين والمزارعين، وكدسوا الأموال الطائلة في خزائنهم، وحالوا دون إصلاح الأحوال المتردية للعامة من الناس، لأنّ هذا الإصلاح يلحق الضرر بخزائنهم، فكانوا في واقع الأمر سبباً غير مباشر في حالة التردي والفقر التي عاناها عامة العرب والموالي على حد سواء، وتحوّل المجتمع إلى طبقات تشتغل بعضها بعضاً.

والواقع أنّ أشراف العرب كانوا يكرهون مقاسمة الموالي في العطاء لأنّ مهمتهم كما ورد على لسان عربي: ((يكسحون طرفنا ويخرزون خفافنا ويحوكون ثيابنا)) (ابن عبد ربه، 1963: ص 414). وقد ثاروا في وجه الوليد من عقبة في خلافة عثمان بن عفان لأنّه أعطى العبيد والموالي نصيبهم من العطاء (الطبري، 1985: ص 62)، على أن الموالي ما لبثوا أن ثاروا في عهد عبد الله بن الزبير لانقطاع العطاء عنهم (البلاذري، 1959 (ب) ج5: ص 188). ومما زاد الأمر سوءاً فرض الجزية على الموالي حتى بعد اعتناقهم الإسلام، وهو أمر أصلحه الخليفة عمر بن عبد العزيز (99 ــ 101ه) لاحقاً، حيث أمر عماله بأن لا يفرضوا الجزية عن كل من أسلم قائلاً عبارته المشهورة: ((إنّ الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً)).

كانت القواعد الإسلامية تقتضي برفع الجزية عن كل من أسلم، كما كانت تقضي بأن الأرض التي أسلم عليها أهلها تكون أرضاً عشرية ولا يفرض عليها خراج وكذلك الأرض التي أحياها المسلمون أو أحرزها الفاتحون عنوة. أمّا الأرض التي صولح عليها أهلها فإنّها تكون فيئاً ويوضع عليها الخراج (النجار، 1949: ص 45).

وهذه التفرقة في الواقع لم يكن مصدرها الإسلام لأنّ الإسلام لم يفرق بين الأجناس، بل ينص على أنّ المسلمين إخوة، ولا فضل لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى، وكانت تلك سياسة الخليفة عمر بن الخطاب عندما استحدث ديوان العطاء وجعل للموالي مثلما للعرب على السواء. وعندما بلغ عمر أنّ أحد عماله أعطى العرب وترك الموالي كتب إليه: ((أمّا بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، والسلام)) (البلاذري، 1974 (أ): ص 437).

أنّ انتشار الإسلام في المناطق المفتوحة دفع أهلها إلى الترحيب بالفاتحين الجدد من أجل التخفيف عن أنفسهم كما كانوا يعانون من مشاكل لا طاقة لهم بحملها، بل أنّ بعضهم دخل في دين الفاتحين، ففي تلك الفترة تمتع الموالي نظرياً بالحقوق والمميزات التي تمتع بها العرب. وهذا الأمر ينطبق على بداية العهد الأموي حين كان عددهم قليل، ولكن العرب اتصلوا تدريجياً بالموالي وتأثروا بهم. وافسحوا لهم المجال بصورة تدريجية فلم يقصروهم على دواوين الخراج فقط بل ولوهم دواوين الكتابة والرسائل (الدوري، 1969: ص 87).

لقد اعتمد المسلمون الفاتحون على الموالي في إدارة شؤون البلاد المفتوحة وذلك قبل تعريب الدواوين، فكان لكل إقليم من الأقاليم ديوان خاص به يكتب بلغة الدولة التي تفرض سيطرتها عليه، فديوان الشام كان يكتب بالرومية، وديوان العراق كان يكتب بالفارسية، وديوان مصر بالقبطية إلى أن تم تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان (البلاذري، 1974 (ب): ص 197).

إن سياسة التفرقة التي انتهجتها الدولة الأموية، في بعض الفترات، والتي وجد فيها المستشرقون الذريعة المناسبة لاتهام المسلمين بالخلافة الإسلامية بالتقصير في حق الموالي وأنهم أدنى مرتبة من العرب، كانت سياسة مبنية على دواعي أمنيه واقتصادية تخص الدولة بعد اتساع رقعتها وتنوع مكوناتها. والدليل على ذلك أن الدولة العباسية التي رفعت شعار تعدد القوميات، وأتاحت جميع الفرص للموالي لم تسلم من شرهم، حيث نشطت الحركة الشعوبية، وانتشرت الزندقة، وازداد حقد

بعض الفرس على العرب وظلت طموحاتهم ترمي إلى تقويض العروبة وإعادة أمجاد السّاسانيين. أضف إلى ذلك أن الموالي الفرس قد تمتعوا في العصر الأموي بوضع اجتماعي أفضل، حيث كان النظام الفارسي نظاماً إقطاعياً يقوم على طبقتين رئيسيتين أولهما الطبقة الأستقراطية وتشمل مُلاك الأرض الذين يستأثرون بخيراتها ويمثلون حلقة الوصل بين الأكاسرة والأهالي، وثانيهما طبقة الشعب وتتألف بدورها من طبقات متمايزة، كانت أوضاعهم أسوأ بكثير من أوضاعهم في الدولة الأموية (كريمر، 1974: ص 78). إلاّ أنّ حرمانهم من المساواة السياسية والاجتماعية بالعرب، وحرمانهم من الوظائف الكبرى في الدولة الأموية، ومن العطاء الذي يستحقونه نظير إلحاقهم بالجيش، وفرض الجزية عليهم رغم إسلامهم، كلها أمور أدت إلى انتشار التذمر بين الموالي في كل مكان وصاروا ينضمون إلى كل خارج على الدولة الأموية.

رابعاً: تطور الهوية السياسية للموالي في العهد الأموي (المقاومة):

ظهر تدمر الموالي على شكل حركة كلامية عرفت بـ ((حركة الشعوبية)) وهذه الحركة كانت تطالب بالمساواة بين الشعوب مستندة في ذلك على قوله تعالى: "يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم" (سوره الحجرات: الآية 13). فالشعوبية حركة اجتماعية أدبية سياسية هدفها الطعن في السيادة العربية وفي الجنس العربي (العبادي، (د.ت): ص 15).

كان تفكير الموالي ينصب في مناصرة كل من يعلن الثورة على الدولة الأموية والكيد لها بكل الوسائل. وانضم كثير منهم إلى جماعات الخوارج حينما نادوا بأنّ الخلافة حق شائع بين جميع المسلمين الأكفاء. كما انضموا إلى ثورات الشيعة في بلاد العراق وخراسان رغبة في الإنتقام من بني أمية، واعتبروا أنفسهم أحق الناس بمساندة آل علي بن أبي طالب، خاصة بعد أن تزوج الحسين بن علي إحدى بنات يزدجرد آخر الأكاسرة الساسانيين. واخذ الموالي ينتهزون كل فرصة مواتية للإطاحة بمُلك بني أمية، فانضموا إلى المختار الثقفي، الذي قربهم إليه، وعين منهم كيسان أبا عمرة على حرسه، وفرض العطاء لهم ولأولادهم (ابن الأثير، 1965 ج3، ص 298). وهكذا أصلح المختار من أوضاع الموالي ليتخذ منهم قوة كبيرة يزيد بها جنده في معركته ضد بني أمية. وينسب إلى المختار الثقفي أنّه كون فرقة شيعية من أتباعه عرفت بـ ((الكيسانية)) نسبة إلى كيسان رئيس حرسه. إلاّ أنّ سياسة المختار في

تقريب الموالي كانت سلاحاً ذو حدين. صحيح أنّه وجد فيهم القوة العددية ضد بني أمية، غير أنّ أشراف الكوفة لم يكونوا ليرضو عن ارتفاع قدر الموالي ومشاركتهم في الفي. فثاروا ضده في الكوفة وإلتجأ بعضهم إلى مصعب بن الزبير والي البصرة يستنجدون به ضد المختار. وكانت تلوح في الأفق نذر معركة بين مصري العراق: البصرة وعليها مصعب بن الزبير، والكوفة وبها المختار الثقفي، لها دوافع سياسية واضحة في استعادة الكوفة إلى سلطان عبد الله بن الزبير خليفة الحجاز، إضافة إلى العصبية العربية تجاه هؤلاء الموالي أنصار المختار. وكان أن حلّت الهزيمة أولاً بأتباع المختار عند المدائن، ثم به شخصياً بالكوفة، وقتل هو وكثير من أتباعه الموالي في شهر رمضان 67 ه (صالح، 1992: ص 325).

لم يتردد الموالي في الانضمام إلى كل ثائر ضد الدولة الأموية. فبعد مقتل المختار انضموا إلى عبد الرحمن بن الأشعث ويزيد من المهلب، ثم انضموا إلى الخوارج وهم أعداء الشيعة حيث يشترك جميعهم في معارضتهم ومعاداتهم للدولة الأموية. وقد وجد الأمويون في معارضة الموالي حجة قوية لضربهم، تساندهم في ذلك العصبية العربية التي كانت ما تزال قوية وعميقة في نفوس العرب الذين كانوا يفتخرون دائماً على الموالي بأنّهم أخرجوهم من الشرك إلى دين الهداية والإيمان (ابن عبد ربه، 1963: ص 412).

وفي خراسان قامت بعض العناصر العربية بحركات ثورية لكي تنتصر فيها لإخوانهم الخراسانيين ضد سوء معاملة بني أمية. ومن زعماء هذه الحركة أبا الصيداء صالح بن طريف الذي عاقبته الدولة بالسجن بعد إخماد ثورته سنه 108ه. وجاء بعده الحارث بن سريج الذي قام بثورة سنه 116ه. يدعو فيها إلى العمل بالكتاب والسنة، وهاجر إلى أراضي الترك وأخذ يقاتل معهم جيوش الدولة الأموية احتجاجاً على سياستها التعسفية تجاه الموالي. واستطاع والي خراسان نصر بن سيار أن يقنع الخليفة الأموية بالعفو عن الحارث بن سريج فعفا عنه، غير أنّ ابن سريج لم يلبث طويلاً حتى عاد ورفع راية العصيان من جديد ضد الدولة الأموية، وانتهى الأمر بقتله سنة 128ه. على أنّ هذه الحركة لم تخمد بموت ابن سريج إذ لم يكد يمضي على وفاته عام واحد حتى أشعل أبو مسلم الخراساني نار الثورة على بني أمية. ويكفي للدلالة على تأييد الموالي الفرس لهذه الثورة أنّ اللّغة الفارسية كانت هي اللّغة السائدة في جيش أبي مسلم (العبادي، (د.ت): ص 16). ونظر بعض الباحثين إلى هذه الثورة على أنّها ثورة الموالي من الفرس ضد الطبقة العربية الحاكمة.

في الوقت الذي كان الخلفاء الأمويين يعملون على تثبيت أركان دولتهم وترسيخ سلطتهم ومواجهة أعدائهم، بدأت بعض الحركات بالتسلل إليها، مستهدفة هدم قواعدها والقضاء عليها. واستهل الشعوبيون المرحلة الأولى بالتسلل تحت ستار التعاليم الإسلامية نفسها، ذلك لأنّهم وجدوا أنّ تفوق العرب وتمتعهم بمركز الصدارة والسلطة في المجتمع الجديد إنّما يرجع إلى كونهم أصحاب الرسالة والأمناء عليها. ومن ثم أخذ الشعوبيون ينادون بأنّ الاسلام يدعو إلى المساواة، وأخذ أبناء هذه الشعوب ومفكروهم من الآيات والأحاديث النبوية شعاراً لهم، وسلاحاً يذودون به عن أنفسهم ويدافعون به عن مصالحهم، ومازالوا يتداولونها فيما بينهم حتى قامت تلك الحركة التي تعرف في التاريخ الإسلامي بالشعوبية، وهي فرقة متعصبة ضد العرب. وبدأت طلائع الشعوبية في العهد الأموي، وقد حملت شعار "التسوية" بين العرب وغيرهم لأنّها لا تجرؤ على أن تطلب أكثر من ذلك (أمين، 2021: ص 53). واعتبر بعض المؤرخون أنّ السبب في هذه الحركة تعصب الأمويين للعروبة ورفضهم لأي عنصر آخر، حيث أخذ الموالي يتحينون الفرص ويتربصون بهم الدوائر. وباءت محاولاتهم في البداية بالإخفاق، حتى اجتمعت لهم العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية فأعلنوا الثورة ضد الدولة الأموية، وكادوا لها بكل الوسائل وكانت الشعوبية من بين الوسائل التي استخدموها في وجه أعدائهم. فانضموا إلى جماعات الخوارج حينما نادوا بنظريتهم في الخلافة إذ أعلنوا أنّ حق الخلافة شائع بين جميع المسلمين الأكفاء. وانضم الموالي إلى جميع ثورات الشعبية في بلاد العراق وخراسان، بل لقد انضموا إلى كل ثائر ضد الدولة الأموية.

ويرى الدوري أن العباسيين أتموا تطورات كانت قد بدأت في العصر الأموي حين ضربت المفاهيم والتنظيمات القبيلة بقوة، وحين أعادت تنظيم الإدارة والجيش على أسس جديدة، لم تكن تقصد ضرب العرب بل سرعان ما أكدت أنّ السلطان لا يزال في أساسه عربياً (الدوري، 1968 (ج): ص 29). ولعل خير مثال على ذلك ما ترويه المصادر التاريخية عن قصة مقتل أبي مسلم الخراساني الذي ساهم مساهمة كبيرة في انهيار دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس والتي تقول: إنّ السبب هو ادعاؤه أنّه من نسب عربي ومن بني العباس، وهذه تهمه رأى فيها العباس إهانة لعصبيه العربية، وانتمائه عندما قال له موجهاً إليه هذه التهمة الخطيرة: "وتزعم أنك من ولد سليط بن عبد الله بن العباس". وفي هذا إشارة إلى أنه اصطنع نسباً عربياً بالإضافة إلى محاولاته التطاول على أسياده من بني العباس لأن ادعاءه هذا النسب

ليس تشريفاً فقط بقدر ما هو محاولة منه لمنح نفسه شرف الانتماء إلى آل البيت وبالتالي التمهيد للدعوة لإقامة خلافة علوية بزعامته هو، وخدمة لمخططاته الفارسية، وهذا ما جعل بني العباس يقفون ضده وضد طموحاته وادعائه النسب العربي، ومحاولته مساواة نفسه بهم وهو أحد مواليهم، فما كان منهم إلا أنّ قتلوه حفاظاً على سلطتهم وافتخاراً بنسبهم العربي (الطبري، 1985: ص 65).

وكان من نتائج الثورات التي شارك فيها الموالي ضد حكم بني أمية ظهور بعض الآراء التي تتعارض مع منهج الإسلام، وتميل إلى الشعوبية والزندقة، فقد انضم الموالي بعد مقتل المختار الثقفي إلى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث الذي سمى نفسه (ناصر المؤمنين). وكانت حركته انفصاليه تزعم بها موالي العراق من الفرس ضد خلافة بني أمية لأسباب شخصية، وكان دافع كل من اشترك فيها وانضم تحت لوائها كراهية الحجاج (المسعودي، 1981: ص 315). ثم انضم الموالي الفرس إلى يزيد من المهلب الذي ثار على الخليفة يزيد بن عبد الملك، وقد عبر ابن المهلب عما في نفوسهم من كراهية للشام وبني أمية، وكان لا يترك مناسبة إلا شتمهم فيها بينما كان يمتدح دائماً أهل العراق. انضم الموالي أيضاً إلى ثورة زيد بن علي الذي كان يفخر بأنّه ابن أمه (المسعودي، 1981: ص 140). وهكذا كان الموالي من الفرس سيفاً مسلطاً على رقاب بني أميه طيلة فترة حكمهم.

الخاتمـــــة:

من خلال ما سبق عرضه لموضوع الواقع التاريخي والسياسي للموالي خلال العهد الأموي في الفترة (41 - 132ه، 662 – 750م) توصلت إلى النتائج التالية:

1. أنّ القارئ للتاريخ الإسلامي عامة والتاريخ الأموي خاصة سيلاحظ أن الموالي كان لهم دور مهم على المستوى العلمي والسياسي والعسكري في الدولة الأموية، وأن سياسة الأمويين تجاههم كانت حسب مواقفهم.
2. لم تكن هناك سياسة عامة للدولة الأموية لاضطهاد الموالي أو التعصب ضدهم، بل نجدهم قد تقلدوا في بعض فترات عهد الدولة الأموية، مناصب رفيعة كأمراء وقادة جيوش وعلماء، وأن النظرة المتعالية التي توردها بعض المصادر، وخاصة كتب المستشرقين، لم تكن نظرة كل العرب المسلمين تجاه الموالي، وإنّما معاملتهم كانت حسب مواقفهم وتقلباتهم.
3. استطاعت الدولة الأموية أن تدمج طبقة الموالي في كيانها السياسي قصد الاستفادة من ثقافاتهم وخيراتهم في هذا المجال، بهدف تكوين مجتمع منفتح على

الثقافات والحضارات المحيطة به، فالكل قد ساهم من حيث موقعه ومكانته الاجتماعية في ترسيخ معالم الحضارة الإسلامية في شتى المجالات.

4. إنّ التناقض في آراء المؤرخين ما بين مؤيد ومعارض لوجود اضطهاد وعنصرية اتجاه الموالي، يقودنا إلى القول بأنّ الفئة التي تارت على الأمويين وناصرت أعداءهم في نهاية المطاف، وكانت سبباً في تقويض حكمهم، ما هم إلاّ الفئة المظلومة من الموالي وليس الموالي بصفة عامة فالموالي الذين تقلدوا المناصب وأصبحوا ولاة وأمراء هم أيضاً من ساهموا في تردي أوضاع العامة من (الموالي) في أغلب الأحيان.
5. إنّ الواقع التاريخي للموالي لازال في حاجة إلى دراسة، فقد بلغ بعض المؤرخين في القول باضطهادهم، إذ كان الكثيرون من رجال بني أمية من الموالي، ومن أمثلتهم: موسى بن نصير وطارق بن زياد وغيرهم، كما كان لكل خليفة من خلفاء بني أمية طائفة من مواليه تخلص له، فعندما زالت دولة بني أمية في المشرق كان مواليهم هم من أقاموا دولتهم في الأندلس.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصـــــادر

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن، 1965، الكامل في التاريخ، ج3، بيروت.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، 1967، المقدمة، ط 3، دار الكتاب، بيروت.
4. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، 1963، العقد الفريد، تحقيق: محمد العريان، ج6، المكتبة التجارية، القاهرة.
5. ابن عذاري، أبو العباس أحمد المراكشي، 1951، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت.
6. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، د.ت، الإمامة والسياسة، ج 2، تحقيق: محمد الزيني، مؤسسة حلبي، القاهرة.
7. ابن منظور، محمد بن مكرم، 1956، لسان العرب، القاهرة.
8. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، 1973، الأغاني، ج 5، مطبعة الهيئة المصرية، القاهرة.

9. البلاذري، أحمد بن يحي، 1974 (أ)، فتوح البلدان، تحقيق: محمد باقر، دار الأعلى، بيروت.
10. البلاذري، أحمد بن يحي، 1959 (ب)، أنساب الأشراف، ج 5، دار المعارف، القاهرة.
11. الدينوري، أبو حنيفة أحمد، 1988، الأخبار الطوال، تحقيق: خليل هراس، دار الفكر، بيروت.
12. الطبري، محمد بن جرير، 1985، تاريخ الأمم والملوك، ج 5، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت.
13. المسعودي، علي بن الحسين 1981، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 3، دار الأندلس، بيروت.

ثانياً: المراجع

1. الجابري، محمد عابد، 1983، العقل السياسي، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
2. الدوري، عبد العزيز، 1984 (أ)، التكوين التاريخي للأمة العربية، ط 4، بيروت.
3. الدوري، عبد العزيز، 1969 (ب)، مقدمة في الاقتصاد العربي، دار الطليعة، بيروت.
4. الدوري، عبد العزيز، 1968 (ج)، الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة، بيروت.
5. العبادي، أحمد مختار، د.ت، في التاريخ العباسي والفاطمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
6. النجار، محمد الطيب، 1949، الموالي في العصر الأموي، دار النيل للطباعة، القاهرة.
7. أمين، أحمد، 2021، ضحى الإسلام، ط 13، الدار المصرية اللبنانية، بيروت.
8. جودة، جمال، 1989، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في صدر الإسلام، الأردن.
9. صالح، محمد أمين، 1992، العرب والإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
10. عبد الرحيم، عبد الحسين مهدي، 1995، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة، طرابلس.

11.فروخ، عمر، 1968، العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت.

ثالثاً: المراجع المترجمة للعربية

1. فلوتن، فان، 1980، الدولة الأموية والمعارضة، ترجمة: إبراهيم بيضون، ط 1، بيروت.
2. كريمر، ألفرد، 1947، الحضارة الإسلامية، ترجمة: مصطفى بدر، القاهرة.